البناء العاطفيّ والدينيّ في ديوان السيِّد سليمان الكبير المتوفَّى سنة ١٢١١هـ

م.م. منيف عودة عبيد الزيديّ
الكليَّة التربويَّة المفتوحة/مركز بابل الدراسيّ

Emotional and Religious Structure in the Diwan of Al-Sayyid Suleiman Al-Kabir (Died 1211 A.H.)

Asst. Lect. Muneef Oudah Obeid Al-Zaidi
General Directorate of Education in Babylon

المُلخَّص

يُعدُّ الشعر الحِلِّيّ شـاهدًا حيًّا على التميُّز الذي طرحته الساحة الشعريَّة والأدبيَّة في العراق سـابقًا وحديثًا، سياسيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا وثقافيًّا، ولشعراء الحِلَّة بصمة واضحة في هذا التميُّز، ولاسيما أنَّ الأسماء الشعريَّة الحِلِّيَّة أصبحت منارًا واضحًا تميَّز بالأسلوب الرصين، والواقعيَّة في الطرح، والعاطفة الحقيقيَّة، وهذا ما نبع في نفس الباحث أنْ يعمدَ في دراسته للشاعر السيِّد سليمان الكبير.

وتكشف لنا هذه الدراسة عن كيفيَّة بناء القصيدة عند السيِّد سليمان الكبير، اعتمادًا عـلى البناء العاطفيّ والدينيّ لدى الشـاعر، بوصفه من الشـعراء الذيـن عُرِفوا بالاتِّجاه الدينيّ، وكثيرًا ما يرتبط الدين بالعاطفة ارتباطًا وثيقًا.

ومـا تبيِّنه الدراسـة أيضًا تأثير العاطفة في البناء الشـعريّ، بوصفهـا ركنًا مهمًّا من عناصر بناء القصيدة، وأيضًا الاتِّجاه الدينيّ للشاعر، الذي يُسْهم برسم الشكل الخارجيّ والداخليّ للنصِّ الشعريّ، وهذا ما سيبيِّنه البحث بالتفصيل.

الكلـمات المفتاحيَّـة: البنـاء العاطفـيّ، البنـاء الدينـيّ، السـيِّد سـليمان الكبـير، الديوان.

Abstract

Al-Hillah's poetry stands as a living testament to the distinction that has characterized the poetic and literary landscape of Iraq, both past and present, across political, social, religious, and cultural dimensions. The poets of Al-Hillah have left a clear imprint on this excellence, particularly as Hillite poetic figures became prominent beacons, distinguished by their rigorous style, objective realism, and genuine emotion. This is precisely what inspired the researcher to conduct this study on the poet, Al-Sayyid Suleiman Al-Kabir.

This study reveals how the poem is constructed by Al-Sayyid Suleiman Al-Kabir, relying on the poet's emotional and religious framework. He is recognized as one of the poets known for their religious orientation, and religion is often closely intertwined with emotion.

Furthermore, the study demonstrates the influence of emotion on poetic structure, as it constitutes a vital cornerstone of poem composition. It also examines the poet's religious

inclination, which contributes to shaping both the external and internal structure of the poetic text, as will be demonstrated in detail throughout the research.

Keywords: Emotional Structure, Religious Structure, Al-Sayyid Suleiman Al-Kabir, Diwan (Poetic Collection).

المقدِّمة

تعتمد القصيدة على عناصر أساسيَّة يشكل هيكلها الفنِّيّ والعموديّ، وهذه العناصر تتكامل فيما بينها لتُنتِج لنا نصًّا أدبيًّا شعريًّا يؤدِّي غَرَضه الحقيقيّ.

وللعاطفة أهميَّة بالغة في البنية الخارجيَّة والداخليَّة في بناء أي نصٍّ، سواء كان شعرًا أو نثرًا. وتتأثَّر العاطفة في المحيط الخارجيّ الذي يعيشه الشاعر، وهذا ما استوحاه الباحث من تجربة الشاعر السيِّد سليمان الكبير، ولاسيما أنَّه يمثِّل الخطّ الشيعيّ، وهو من شعراء المذهب البارزين.

وشعراء هذا الخطِّ يُعبِّرُ شعورهم عن العواطف الصادقة، والتنفيس عن نفوسهم المكلومة والمسلوبة، ويصلون إلى حدِّ التفجُّع على موتاهم، وأنَّهم اتَّخذوا شعرهم وسيلة لتحقيق هدفهم بنشر حقيقة المذهب الشيعيّ، وهذا ما جعله شعرًا مميَّزًا واكبَ أحداث الشيعة جميعها. وهذا ما صنع وثيقة تأريخيَّة سياسيَّة، يجهر بعقيدتهم في رجعة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف[1].

وهذا ما أثارني لاختيار هذا الموضوع، فمن قراءتي لشعر السيِّد سليمان الكبير، تولَّد في داخلي شعور الالتزام الدينيّ الذي بثَّه الشاعر بقصائده التي من شأنها أن تشكِّل حافزًا قويًّا للدراسة والبحث لدى كلِّ المهتمِّين بهذا النوع من الشعر.

(١) ينظر: الاتِّجاهات المذهبيَّة في شعر الصاحب بن عبَّاد، وفاء عزّ الدين حسب الله الحاج، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٩م، ص٦٩.

وقد قُسمِّت مادَّة البحث في مبحثَين:

الأوَّل: تناول البناء العاطفيّ بوصفه الجوهر الأساسيّ الذي يحرِّك مكنونات الشاعر، ومدى تحقيق النصِّ لهدفه بالتأثير في المتلقِّي.

الثاني: البناء الدينيّ، والذي يظهر بجوانب عدَّة في القصيدة منها التحكُّم بوحدة الموضوع، وتشكيل ذات الشاعر، وبناء هويَّته الشعريَّة، بما يحمله من بُعدٍ عقائديّ الذي يتَّحد فيه الإيمان مع التعبير العاطفيّ والفنِّيّ.

التمهيد

تُعدُّ تجربة الشاعر سليمان الكبير تجربة شعريَّة جمعت بين عمقه العاطفيّ وروحانيَّته الدينيَّة، وظهر ذلك واضحًا في قصائده التي تبنَّت مشاعره الصادقة التي تداخلت مع المضمون الدينيّ، وكثيرٌ من الشعراء يستندون إلى البناء الدينيّ مع العاطفيّ؛ ليُكسبوا قصائدهم روح الإيمان، التي تنماز بثقافة الدين الإسلاميّ المتأصِّلة من عمق قدسيَّته.

ويمكن أنْ يُعدَّ التلاقح العاطفيّ والدينيّ مشروعًا ناضجًا يُنتج نصًّا أدبيًّا متكاملًا من الناحية الفنيَّة والفكريَّة، وهذا ما صنع من الشعر تجربة إنسانيَّة حيَّة، وقد نجح به السيِّد الكبير عندما جعل من شعره معادلة تفاعلت فيها مشاعره الإنسانيَّة مع عقيدته الدينيَّة، ليكون نتاجها قصائد ينبض مضمونها برسائل فكريَّة روحيَّة مُتقَنة من الجانب الفنِّيّ، وعمق المضمون.

وكان للتراث الحسينيّ أثرٌ كبيرٌ في تشكيل البُعد العاطفيّ والدينيّ في شعر السيِّد سليمان الكبير، بوصفه مصدرًا يتَّسم بغِنى المشاعر، وقدسيَّة الرمز الذي يغذِّي وجدان الشاعر، فالحزن والبكاء والفداء والولاء لأهل البيت عليهم السلام، ولاسيما الإمام الحسين عليه السلام، رَسَمَ فضاءً واسعًا وفلسفةً لرفض الظلم والاستبداد الذي عَمَّقَ البعد العاطفيّ الممتزج بالعقيدة الدينيَّة التي عبَّرت عن معاناة الإنسان وقضيَّته الأزليَّة في الحياة الحرَّة الكريمة[1].

(١) ينظر: التراث الحسينيّ في الأدب العربيّ، مقدام المفرجيّ، الوافي للتوثيق والدراسات، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، الموقع الإلكترونيّ.

لقد تغذَّت مشاعر السيِّد سليمان بالولاء المطلق لأهل البيت عليهم السلام، ممَّا جعل شعره تجربة عاطفيَّة دينيَّة متكاملة، وشاهدًا على حقبة زمنيَّة يستحضر فيها الشاعر مشاعر ومواقف تلامس عواطف المتلقِّي ووجدانه. وهذا ما سيحدِّده الباحث، معتمدًا على القيمة الفنيَّة والإبداعيَّة عند الشاعر في ديوانه.

المبحث الأوَّل

البناء العاطفيّ

العاطفة هي: «استعداد نفسي ينزع بصاحبه الى الشعور بانفعالات معينة والقيام بسلوك خاص حيال فكرة أو شيء»[١].

أمَّا البناء العاطفيّ في القصيدة، فهو: تنظيم الأفكار والمشاعر التي يعبِّر عنها الشاعر داخل النصِّ الشعريّ، بحيث يكون نابعًا من حالة وجدانيَّة صادقة، وتُرسَل إلى المتلقِّي بتماسك يؤثِّر في وجدانه من طريق الاختيار الدقيق للأساليب الفنيَّة والكلمات التي تُثير التعبير الانفعاليّ[٢].

وعاطفة الشعر حالة من الوجدان تتميَّز بالاستقرار والدوام، بعيدة عن العنف والثورة، اللذَين يميِّزانها من الانفعال، وهو ما يترتَّب عليه الانجذاب إلى الشيء أو الميل عنه[٣].

وتكمن أهميَّة عاطفة الشعر بمدى إمكانيَّتها على الانتقال من الشاعر إلى المتلقِّي، وأحيانًا تُظْهِرُ عاطفةً للقارئ غير العاطفة التي صَدَّرها الشاعر، وهذا ما تترجمه صدق

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدوليَّة، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٦٠٨.
(٢) ينظر: دراسة في النقد الأدبيّ، رشيد العبيديّ، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩م، م٢، ص١٣-١٤.
(٣) ينظر: معجم المصطلحات العربيَّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٢٤٢.

العاطفـة وقوَّتهـا التي تجعل القارئ يستشـعرها، ويصـدر عليها حكمًا شـعوريًّا. وهذا ما يُبنى عليه صدق الشاعر، وصدق عواطفه.

وروعـة العاطفـة وقوَّتها مـن المقاييـس النقديَّة المهمَّـة، لا بل الأهم منهـا جميعًا، وإذا تأكَّدنـا مـن صدق العاطفة، فيُثير ذلك أسـئلة عدَّة ممكن توجيههـا للقارئ، منها: هـل أثارك النصّ؟ هل بعث بداخلك شـعورًا قويًّا؟ هل أعطـاك النصّ رؤية جديدة؟ هل أوحى النصّ لك بنظرة واسـعة تحيي قلبك؟ فإذا كانت لكلِّ هذه الأسـئلة إجابات متوافقة مع السؤال لدى المتلقِّي، فإنَّ النصَّ قد مثَّل أدبًا قويًّا.(١)

وللعاطفـة أثـر في التصوير البلاغيّ الـذي يجعل من كلام الشـاعر قريب إلى فهم السـامعين وقلوبهـم ؛ لأنَّ التصوير البلاغيّ يصنَّف ضمن عنـاصر الخيال الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعاطفة الشـاعر وإحساسـه، ومتى ما تكون العاطفة قويَّة، اتَّسـعت دائرة الخيـال، فإذا كانت العاطفة عكس ذلك أصبح الخيـال محدودًا، ذا أفق ضيِّق؛ ذلك لأنَّ الخيال موصوف بأنَّه وليد العاطفة(٢).

وإنَّ للعاطفـة تأثيرهـا القويّ على التصوير البلاغيّ؛ لأنَّهـا تعبِّر عن العالم الداخلي للنفس الإنسانيَّة؛ لأنَّ عالم النفس ومشاعرها محيط لا يمكن أن نضع له حدود، ولا زال الشـعراء يغرفون من هـذا المحيط الذي لا ينضب؛ لأنَّ العاطفـة ولَّادة، والخيال فرس جامح ينطلق متى ما هُيِّء له المجال(٣).

إذن العاطفة عنصر مهم، والأساس الأوَّل لكلِّ عمل شعريّ على وجه الخصوص،

(١) ينظر: أصول النقد الأدبيّ، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصريَّة، ط١٠، ١٩٩٤م، ص١٩٣.
(٢) ينظر: العاطفة في الشـعر، فاطمة محمَّد إبراهيم، بحث منشـور في المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني لكليَّات الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات، ٢٠٢٣م، ص٩٧١-٩٧٣.
(٣) ينظر: في النقد الأدبيّ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٤٦.

لأنَّه يتكامل مع العاطفة والإحساس؛ ليشكِّل منظومة الشعر المنسجمة مع حالة الشاعر النفسيَّة، وهذا ما يؤثِّر تأثيرًا مباشرًا على الشاعر باختيار ألفاظه؛ ليكون صورة مؤثِّرة في نفس المتلقِّي.

وكلُّ ما سبق يظهرُ جليًّا في تجربة الشاعر السيِّد سليمان الكبير، الذي حوَّل عاطفته المرتبطة بآل البيت عليهم السلام إلى فكرة عقائديَّة أظهر فيها عواطفه وأحاسيسه التي تأثَّرت تأثُّرًا واضحًا بالبيئة التي يعيش فيها، ولاسيما أنَّه ينتمي إلى أسرة علويَّة عريقة.

يقول السيِّد الكبير راثيًا الإمام الحسين عليه السلام:

أيـــــلامُ في أحـــــزانـــهِ وبـكـــائـهِ
مَـــن كـــانَ مِـثـلِي في عـظـيـمِ بـلائـهِ
حـــقَّ لِـمِـثـلي أنْ يـشـيـبْ دُمُـــوعـــهُ
بِـــدمِ الـــفُـــؤادِ لـــجُـرمـهِ وخَـطـائـهِ
أيـــنَ المـنـاصُ ولا خـــلاصَ مِـن الَبـلا
إلَّا بـــسـبـطِ مُحـــمَّـــدٍ وإبـــائـــهِ
الـسـيِّـدُ الـظـمـآنُ والمَـــولى الـذي
خُـضـبـتْ كَـريـمـتُـهُ بـفـيـضِ دمـائـه[1]

فقد تعبِّر هذه الأبيات عن الحالة النفسيَّة المفعمة بالألم والحزن للسيِّد الكبير، ألم ناتج من إحساسه بالذنب، ممزوجًا بطلب الحاجة والخلاص الذي ربطه الشاعر باللجوء إلى آل بيت الرحمة عليهم السلام بوصفهم الضمان والخلاص والملجأ.

(١) ديوان الشاعر السيِّد سليمان الكبير، تحقيق: د. مضر سليمان الحِلِّيّ، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، ط١، ٢٠١٠م، ص١١١-١١٣.

فبداية الشاعر بالحزن والبكاء يدلُّ على عاطفة جيَّاشة، تعكس شدَّة ما يعانيه الشاعر، فربطُ دموعه بدم فؤاده، دلالة على ألم داخلي عميق، وربط الخلاص بالسيِّد الظمآن، قاصدًا الإمام الحسين عليه السلام، فهو في هذه الأبيات اعتمد اعتمادًا كليًّا في بنائها على عاطفته الممزوجة بين الألم والندم من جهة، وبين الدعاء للخلاص من البلاء مستمسِّكًا بالحسين عليه السلام.

وقال مادحًا أمير المؤمنين عليه السلام، وراثيًا الإمام الحسين عليه السلام:

حـــارتْ بـكُـنـهِ صـفـاتـك الأحـــلامُ
وتـــعـــذَّرَ الإدراكُ والإلهـــامُ
يـا ســـرُّ ســـرِّ الله بـل يـا نـورهُ
هَـلْ كـيـفَ تُـدركُ ذاتَـكَ الأوهـامُ
يـا آيـةَ اللهِ الـعـليِّ ومَـنْ هـو الجـنـ
ـــبُ الـقـويُّ وسـيـفُـهُ الـصِّـمـصَـامُ
مـا كُـنـتَ تـصـنـعُ والحـسـين بكربلا
غَـرَضٌ تَـنَـاهَـبـهُ ظُـبَـيٌ وسـهـامُ[1]

وهنا استطاع الشاعر السيِّد سليمان الكبير أن يخلط بين عاطفه الفخر المتمثِّلة بفضائل الإمام عليّ عليه السلام، بوصفه رمزًا للقوَّة والعدل الإلهيّ، مزجها بالتساؤلات الفلسفيَّة المتنقلة ما بين الإدراك والواقع، مع عاطفه الحزن التي بدأها بتساؤل استعمل فيه الخطاب المباشر مع أمير المؤمنين عليه السلام، الذي عزَّز فيه عمق النصِّ الروحيّ وحيويَّته المنبثقة من التفكير والتأمُّل العاطفيّ، مبرهنًا فيه علمًا أنَّ فهم حقيقة الأشياء يأتي من طريق الوحيّ والإلهام، ومشيرًا إلى الهدف الحقيقيّ من التضحية والشهادة التي سعى

(١) الديوان، ص٦٩٦-٢٧١.

إليها الإمام الحسين عليه السلام.

ومن مرثيَّة له للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام يقول:

ظـلـمـوكِ سـيِّـدةَ الـنـسـاءِ فـوَيـلـهـا
مِـــن أعـــبـــدٍ جـــارتْ عـــلى ســادتِهـا
لمْ يـكـفـهـم ثـكـلٌ وعـظـمُ مـصـيـبـةٍ
مِـنـهـا ومَـــا عَـطـفـوْا عـلى مِحـنـاتِهـا
واللهِ يـا (أهـلَ الـكـسـاءِ) وخـيـرةَ الـ
ـــبـارِي وخـــيـرَ هُـــداتِهـــا وَوِلاتِهـــا
مَـهـمَا حَـزنَّـا عـنـدَ ذِكـرِ مُـصـابِـكُـم
فَـهـوَ الـقـلـيـلُ عـلى خـيـارِ هُـداتِهـا[1]

فالسيِّد الكبير هنا بنى هذه الأبيات على أساس عاطفي يبعث في مشاعر المتلقِّي اللوعة والأسى، مبيِّنًا أنَّ ما حصل للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وما وقع عليها من ظلامة تجاوز كلَّ الحدود، وتصاعدت الغصَّة العاطفيَّة عنده بالاستنكار لتجرُّؤ الأمَّة على آل الرسول صلى الله عليه وآله، فأثر البناء العاطفيّ هنا برز واضحًا في تأدية القصيدة الوظيفة الرثائيَّة على أتمِّ وجه من تأجيج مشاعر البكاء والحزن، ومنح القارئ شحنة عاطفيَّة عالية، فهو هنا وظَّف البنية العاطفيَّة خير توظيف، عندما خلقت القصيدة تفاعلًا روحيًّا مع قضيَّة الزَّهراء عليها السلام.

وخلاصة القول: إنَّ الباحث يرى أنَّ البناء العاطفيّ، وأبعاده في النصِّ، لا يُعدُّ عنصرًا مهمًّا من عناصر بناء القصيدة فقط، وإنَّما هو هيكلها الأساس، والدعامة الأولى التي تجعل المتلقِّي يستعشر قيمة النصِّ قبل إدراك معانيه، أو الهدف الرئيس منه، وهذا ما

(١) الديوان، ص١٥٩-١٦٠.

نجح فيه الشـاعر سليمان الكبير نجاحًا باهرًا، في توظيف العاطفة في بناء نصِّه الشعريّ؛ لأنَّه يثير سـمع المتلقِّي بشـحنة عاطفيَّة تصل إلى قلبه، صورةً رُسِـمتْ أمام عينه، وهنا تكمن قيمة الشاعر الحقيقيَّة بتوظيف أدواته خير توظيف.

المبحث الثاني

البناء الدينيّ

يمثِّل البناء الدينيّ مرجعيَّة تجسِّد روافد متعدِّدة في النصِّ التقليديّ القديم والحديث، وهو ما ينعكس على بنية القصيدة الفنيَّة، وهي التي تحدِّد قيمة النصِّ الفنيَّة.

والبناء الدينيّ، يعني: إمكانيَّة الشاعر في توظيف المفاهيم الدينيَّة والرموز في بنية القصيدة ونظامها، ولا يمكن أن يقتصر هذا البناء بالاعتماد على المعتقدات ونصوصها الدينيَّة، بل يتعدَّى الى استعمال تعابير رمزيَّة من مجازٍ وتناصٍّ قرآنيّ وحديثٍ نبويٍّ شريف، وهو ما يمثِّل تراثنا الدينيّ عامَّة؛ ليبني الشاعر تجربة دينيَّة روحيَّة فنيَّة[١].

وبناء القصيدة دينيًّا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بثقافة الشاعر الدينيَّة، ولاسيما أنَّ مفهوم الدين اصطلاحًا تعدَّد عند العلماء، وقد جاء بمعانٍ عدَّة، منها الشَّرع الإلهيّ، وسلوك ومعتقد وطاعة للهِ ورسوله، الدين الطريقة التي توطِّد علاقة المسلم بالله تعالى[٢].

(١) ينظر: فعاليَّة الأثر الدينيّ عند شعراء قصيدة الشعر، ميثم صاحب عليّ، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، ٢٠٢٤م، ص١٦.

(٢) ينظر: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، د. محمَّد الزحيليّ، منشورات الدعوة الإسلاميَّة العالميَّة، ليبيا، ١٩٩١م، ص٧٣.

ومـن هذا المفهوم الاصطلاحيّ للديـن، يتبيَّن للباحث أنَّ البنـاء الدينيّ للقصيدة مرتبـط بخطاب معيَّن تحكمه قواعد لا يمكن أن يتخطَّاها الشـاعر، ولاسـيما أنَّ الدين مرتبـط بالطاعة، والطاعة تؤدِّي الـدور البارز في بناء الذات الشـاعرة التي تؤثِّر وتتأثَّر بالمحيط الخارجيّ للشاعر.

وبـما أنَّ البنـاء الدينيّ، هو قدرة الشـاعر على توظيـف المفاهيم والرمـوز الدينيَّة، والتنـاص مع القران الكريم والأحاديث الشريفة، فمن الممكن أن يتضمَّن البناء الدينيّ لأيِّ نصٍّ شعريٍّ على الرمزيَّة والتأويل والتناص الدينيّ وهيكل النصِّ وتنظيمه وعمقه الروحيّ المنبعث من تجربه الشاعر الشخصيَّة[1].

والبنـاء الدينيّ في أيِّ قصيدة يعبِّر عن تجربة روح التراث، وفيها الرموز والمفردات الدينيَّة تعكس حالة روحيَّة خاصَّة وعميقة، من الصعب أن تُعبَّر عنها بوسـائل أخرى، وأنَّ الشـعر الدينيّ ليس فقط حالة سرديَّة للعقائد والنصوص، وإنَّما وسيلة تواصليَّة لما يختلج من روح ومشاعر كالتجلِّي والإشراق[2].

وهذا البناء يفتح للشاعر الأفق للتعبير عن تجربته الدينيَّة والروحيَّة الخاصَّة بتعمُّق وتفـرُّد، وهـو ما ينتج عـن تعالق التجربة الذاتيَّـة مع الرؤية الدينيَّـة، وهو ما جعل من القصيـدة المسـاحة الروحيَّة التي تتجاوز الواقع المادِّيّ إلى آفـاق ميتافيزيقيَّة، وبانَ ذلك واضحًا في الشعر الصوفيّ الذي ربط بين البُعد الروحيّ والفنِّ في تجربه الشاعر[3].

(١) ينظـر: مذاهب الحسـن، شربل داغـر، قراءة معجميَّة تاريخيَّـة للفنون العربيَّـة، المركز الثقافيّ العربيّ، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٠١.

(٢) الفكـر الإسـلاميّ، محمَّد أركون، نقـد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشـم صالـح، بيروت، دار الساقي، ط٥، ٢٠٠٩م، ص٨٣.

(٣) ينظر: تعالق التجربَتَين الشـعريَّة والصوفيَّة لدى صلاح عبد الصبور، د. عليّ مصطفى عشـا، مجلَّة جامعة دمشق، المجلَّد ٢٥، العدد الأوَّل والثاني، ٢٠٠٩م، ص١٩٦.

وبهذا الجانب أبدع السيِّد الكبير، فهو من الشعراء الذين انمازوا بعمق وثقافة دينية واسعة شملت القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة والتأريخ وأهمها ما ارتبط بأهل البيت عليهم السلام وكربلاء.

وما يلفت النظر أكثر في بناء القصيدة الدينية عند السيِّد سليمان الكبير أنه ركز على قضية الرثاء كثيرا الذي عكس فيه التزامه الديني المليء بالحزن والبكاء، ولاسيما مع قضية الإمام الحسين عليه السلام.

وما يلفت النظر ايضا استعماله للمرجعية الدينية في بناء قصيدته بشكل مباشر، أي اقتباسات مباشرة مما أضفى على قصائده قوة روحية ودينية عزز من مصداقية الرسالة التي ينقلها.[1]

يقول السيِّد الكبير في قصيدة يمدح فيها أمير المؤمنين عليه السلام:

هو عزُّ دينِ (محمَّدٍ) بل نفسُهُ
وبنفسهِ لـ(محمَّدٍ) كَمْ يَشتري
هوَ سَيفُ دَولته ومُعجُزهُ ومَن
في يومِ (خيبرَ) غيرُهُ لم يُنصرِ
وبيومِ (بدرٍ) ليس يُنكَرُ فِعلهُ
وبيومِ صفِّينٍ ووقعةِ (خيبرِ)[2]

ففي هذه الأبيات اعتمد السيِّد الكبير في بنائها على ثقافته الدينيَّة الخالصة، إذ ربطها مباشرةً بأحداث حصلت في زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، مشيرًا إلى أنَّ الإمام عليه السلام

(١) ينظر: المرجعيَّات الدينيَّة في شعر السيِّد سليمان الكبير، أحمد عبَّاس مرزا الخالديّ، مجلَّة الباحث، العدد الأوَّل، الجزء الأوَّل، ٢٠٢٤م، ص٣١٣.
(٢) الديوان، ص١٧٢.

هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله، مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]، وهي آية المباهلة المعروفة، وهنا تعزيز رائع من الشاعر لحجَّته ورسالته التي يريد إيصالها، ومن ثمَّ ألحقها بقصَّة مبيت الإمام عليّ عليه السلام في فراش النبيِّ صلى الله عليه وآله، بـ(نفسهُ وبنفسهِ)، التفاتة رائعة من الشاعر، ودليل على إمكانيَّته للاستفادة من المفردة وكيفيَّة توظيفها، ومن ثمَّ يسترسل الشاعر بأبياته مستعرضًا في بنائها واقعة بدر وخيبر، وما سطَّر فيهما أميرنا عليّ عليه السلام من بطولات.

وما أُريد إجماله أنَّ الشاعر السيِّد سليمان الكبير وضع لقصيدته دعامة قويَّة استند إليها في بناء نصِّه الشعريّ من القرآن الكريم والتأريخ، وهذا ما نوَّهتُ إليه سابقًا من أنَّ السيِّد سليمان يتمتَّع بثقافة دينيَّة عالية.

ومن قصيدة له في رثاء الرسول الأكرم والبضعة الزَّهراء والسِّبط (عليهم أفضل الصلاة السلام)، تفنَّن السيِّد الكبير في استعمال ألفاظ القرآن الكريم في بناء هذه القصيدة، حيث يقول:

سَمتْ بهِ الهمةُ القَعساءُ حيثُ علتْ
(لِقابِ قوسينِ) أو أدنى لبارِيها
عَنِ الهَوى قطُّ لمْ ينطقْ وقد نَقضتْ
منهُ وصَايَا بأمرِ اللهِ مُوصيهَا
في حَقِّ مَنْ آيةُ التبليغِ تشهدُ في
خُمٍّ لهُ بولاءٍ محكمٍ فيها

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

وهَلْ أتى) هلْ أتتْ في غيرهِ فَسَمتْ
بهِ إلى غايةٍ أعيَتْ مُباريهَا
حتَّى هَوى النَّجمُ يا للهِ مِن عجبٍ
ما كانَ قَولُ رَسُولِ اللهِ يكفيها[1]

هذه الأبيات دليلٌ واضحٌ على قدرة الشاعر السيِّد الكبير، وتمكُّنه من أدواته الشعريَّة، وتضمينه للمفردات بهذا الشكل، والتي اقتبسها مباشرةً من القرآن الكريم، فقوله: (لقاب قوسَين أو أدنى لباريها)، مُقتبسة من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2]، وقوله: (عن الهوى قطُّ لم ينطقْ)، مُقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[3]، وقوله: (وهل أتى هل أتت في غيره فسمتْ)، مُقتبس من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[4]، فهذه كلُّها أسس قويَّة لبناء أي قصيدة دينيًّا، وهذا ما يثبت قيمتها الفنيَّة والموضوعيَّة، وذكره لآية التبليغ في قوله (في حقِّ مَن آية التبليغ تشهد) عزَّزت حجَّة الشاعر القويَّة بطرح رسالته إلى المتلقِّي وإيصالها إليه، فهو قد ثبَّت كلَّ ما طرحة بالبرهان القرآنيّ، وهذا ما لا يقبل الشكَّ ابدًا. وهنا عزَّز أيضا بناء القصيدة دينيًّا، باعتماده على الاقتباس أداةً من أدوات البناء الدينيّ للقصيدة.

وأودُّ الإشارة هنا إلى أنَّ مفهوم البناء الدينيّ يختلف عن مفهوم الاقتباس، فالبناء الدينيّ، وبتعريف آخر عمَّا ورد في بداية المبحث: قدرة الشاعر على توظيف العناصر الدينيَّة، بوصفها مكوِّنًا رئيسًا يشكِّل بنية القصيدة الدينيَّة ومضمونها، لكي تتعامل مع

(١) الديوان، ص: ٢٩٣.
(٢) سورة النجم، الآية: ١٠.
(٣) سورة النجم، الآية: ٣.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ١.

العاطفـة والرؤية الفنيَّة لخلق نصوص شـعريَّة ذات رمزيَّة وانتـماء دينيّ، وهويَّة روحيَّة للشاعر والمتلقِّي[1].

وأمَّـا الاقتباس، فهو: «أن يضمَّن الكلام شـيئًا من القـرآن أو الحديث، لا على أنَّه منـه، وهـو ضربان: الأوَّل مـا لم ينقل فيه المقتبـس عن معناه الأصـليّ، والثاني بخلافه، ولا بأس بتغيُّر يسير للوزن وغيره»[2]

وقال يرثي الحسين عليه السلام:

وكَـــمْ قـتـيـلٍ نـجـيـعُ الـطـعـنِ كـفَّـنـهُ
فـيـهـا وغـسَّـلـه نَـسـجُ الأعـاصـيـرِ
فـلا حُـسـامٌ تـــراهُ غـــيرَ مـنـثـلـمٍ
ولا تـــرى سَـمـهـريًّـا غـيرَ مـطـرورِ
يـا آل (طَـــهَ) و(يـاسـيـنٍ) وآل (الحـوا
ميمِ) وآل (النبأ) و(الـنـورِ) و(الـطـورِ)[3]

فالبناء في هذه الأبيات جعل منه الشـاعر تصويرًا حيًّـا لواقعة الطفِّ الأليمة، فقد صوَّر الأجسـاد الطاهرة في كربلاء وكأنَّها كُفِّنت بالدماء من أثر الطعن، وغسَّلتها رمال الصحـراء التي تحرِّكها الرياح، وكأنَّه يصف ويقول: إنَّ كلَّ شيء في معركة الطفِّ خرج عن المألوف، التي لم يبقَ فيها سـيف إلَّا وانثلم، ولا رمح إلَّا وانكسر، وهذا كلُّه تصوير صوَّره الشاعر.

(١) ينظـر: تحـوُّلات المكوِّن الدينيّ في الشـعر العربيّ، د. عبَّاس بن يحيى، مجلَّـة حوليَّات التراث، الجزائر، العدد ١، ٢٠٠٤م، ص٥٩-٦٠.

(٢) تلخيـص المفتاح، في المعـاني والبيان والبديع، الخطيب القزوينيّ جـلا الدين محمَّد، دار الكتب العالميَّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١١٧.

(٣) الديوان، ص٢١٤-٢٠١٥.

يتراءى لي ممَّا سبق، أنَّ البناء الدينيّ في شعر السيِّد الكبير، هو العمود الذي حافظ عليه في شعره، والذي عالج فيه الكثير من الموضوعات الوجدانيَّة المتربطة بالأحداث الدينيَّة، ولاسيما أحداث كربلاء، والذي ركَّز فيه على بثِّ القيم الإسلاميَّة والولاء المطلق لأهل البيت عليهم السلام، وهذا ما صنع من شعره منارًا لعشَّاق الشعر الدينيّ والوجدانيّ.

وبصورة أخرى، ومن الجميل أن يُطلقَ عن السيِّد سليمان الكبير وأمثاله من الشعراء لقب (شعراء العاطفة والدين)، الذين لا يزاودهم عليه شاعر آخر، بوصفهم الشعراء الذين جمعوا الإيمان القويّ، والفكر العميق، والثقافة الدينيَّة الراسخة في جذورهم، والطرح الموافق للقيم الإسلاميَّة، كالشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، والشاعر جعفر الحِلِّيّ، وغيرهما.

الخاتمة

من دراستي للبناء العاطفيّ والدينيّ في شعر السيِّد سليمان الكبير، توصَّلت الى نتائج جزئيَّة جعلتها منضوية في طيَّات البحث، ونتائج عامَّة كليَّة لم تُذكَرْ، سأذكرها، ومن هذه النتائج:

١. طغيان العاطفة والدين بشكلٍ عامٍّ على بناء القصيدة عند الشاعر السيِّد سليمان الكبير.

٢. اعتماد الشاعر على الحجَّة القويَّة في التضمين والاقتباس في أبياته الشعريَّة، ممَّا جعلها ركيزة أساسيَّة عنده.

٣. ميل الشاعر السيِّد الكبير إلى العاطفة المباشرة، وهذا ما بدا واضحًا جدًّا في قصائده، التي سادت عليها عاطفة الحبِّ لآل الرسول الأكرم ﷺ.

٤. اعتماد السيِّد الكبير الأسلوب البسيط في طرح رسالته، لتصل مباشرةً إلى المتلقِّي من دون تعقيد.

وهذه النتائج غير قطعية بقدر ما هي نتائج ممكنة، وسيبقى مجال البحث في شعر السيِّد الكبير مفتوحًا للدارسين، بوصفه غنيًّا باللغة والصور والمضمون العالي.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

الكتب:

١. أصول النقد الأدبيّ، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصريَّة، ط١٠، ١٩٩٤م.

٢. تلخيص المفتاح، في المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزوينيّ جلا الدين محمَّد، دار الكتب العالميَّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.

٣. دراسة في النقد الأدبيّ، رشيد العبيديّ، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩م، م٢.

٤. ديوان الشاعر السيِّد سليمان الكبير، تحقيق: د. مضر سليمان الحِلِّيّ، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، ط١، ٢٠١٠م.

٥. الفكر الإسلاميّ، محمَّد أركون، نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، ط٥، ٢٠٠٩م.

٦. في النقد الأدبيّ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١، ٢٠٠٤م.

٧. مذاهب الحسن، شربل داغر، قراءة معجميَّة- تاريخية للفنون العربيَّة، المركز الثقافيّ العربيّ، ط١، ١٩٩٨م.

٨. معجم المصطلحات العربيَّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة،مصر، مكتبة الشروق الدوليَّة، ط٤، ٢٠٠٤م.

الرسائل:

١٠. الاتِّجاهات المذهبيَّة في شعر الصاحب بن عبَّاد، وفاء عزّ الدين حسب الله الحاج، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٩م.

١١. فعَّاليَّة الأثر الدينيّ عند شعراء قصيدة الشعر، ميثم صاحب عليّ، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، ٢٠٢٤م.

البحوث:

١٢. تحوُّلات المكوِّن الدينيّ في الشعر العربي، د. عبَّاس بن يحيى، مجلَّة حوليَّات التراث، الجزائر، العدد ١، ٢٠٠٤م.

١٣. التراث الحسينيّ في الادب العربيّ، مقدام المفرجيّ، الوافي للتوثيق والدراسات، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، الموقع الإلكترونيّ.

١٤. تعالق التجربَتَين الشعريَّة والصوفيَّة لدى صلاح عبد الصبور، د. عليّ مصطفى عشا، مجلَّة جامعة دمشق، المجلَّد ٢٥، العدد الأوَّل والثاني، ٢٠٠٩م.

١٥. العاطفة في الشعر، فاطمة محمَّد إبراهيم، بحث منشور في المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني لكليَّات الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات ٢٠٢٣م.

١٦. المرجعيَّات الدينيَّة في شعر السيِّد سليمان الكبير، أحمد عبَّاس مرزا الخالديّ، مجلَّة الباحث، العدد الأوَّل، الجزء الأوَّل، ٢٠٢٤م.

١٧. وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، د. محمَّد الزحيليّ، منشورات الدعوة الإسلاميَّة العالميَّة، ليبيا، ١٩٩١م.